قراءة في كتاب

«عدن.. الاعتقالات ووحشية التعـــ

ووسائل الحياة العادية وكبت حرية المواطن

راشد محمد ثابت

- القوات البريطانية أحكمت سيطرتها على عدن والمحميات الشرقية والغربية
- التواجد العسكري المكثف أفضى إلى تضييق سبل

وشعبنا يحتفل اليوم بالعيد الثامن والأربعين لثورة 14 أكتوبر المجيدة.. حرصت صحيفة «الثورة» على ضرورة الإسهام الفاعل في تعريف وتنوير الشباب اليمني بتاريخ الثورة اليمنية الخالدة « 26 سبتمبر/ 14 أكتوبر» وذلك من تسليط الضوء على جزء من كتاب «عدن.. الاعتقالات ووحشية التعذيب في سجون الاستعمار البريطاني» لمؤلفه المناضل الكبير الأستاذ راشد محمد ثابت عضو مجلس الشورى وهو رمز من الرموز الوطنية.. شارك بفاعلية في ثورة14 أكتوبر ومقاومة المستعمر وأعتقله المحتل البريطاني مرتين.

وبعد الاستقلال تقلد الأستاذ الجليل راشد محمد ثابت عدداً من المناصب الوزارية في جنوب الوطن ومنها وزيراً لشئون الوحدة وقام بدور وطني كبير مع إخوانه المسئولين في إنجاح مباحثات الوحدة وإعادة تحقيق الوحدة اليمنية يوم 22 مايو1990 م.

وبهذه المناسبة الوطنية العظيمة التي يحتفل بها شعبنا اليوم اخترنا هنا من كتابه المذكور آنفاً الفصل الأول بعنوان « واقع الاحتلال البريطاني.. والمقاومة الشعبية لوجوده الاستعماري».

إعداد/
رياض شمسان

الاضطهاد.. والمقاومة

تواجد قوات الاحتلال البريطاني في أراضي الجنوب اليمني لم يظهر بالمظهر المدني المسالم الذي يعطي الأمل للمواطن اليمني بأن هذه القوات – كما يدعي المحتلون – قد دخلت إلى بلاده بأطباق عليها موائد الرخاء والازدهار والحضارة المدنية الحديثة. بل لقد تأكد ميدانياً أن هذه القوات المدججة بأحدث الأسلحة والمدربة على القتل والتدمير إنما تحمل وظيفتها الاستعمارية في تثبيت احتلالها لأراضي الجنوب من زاوية أهمية هذه المنطقة استراتيجياً في خدمة وحماية المصالح البريطانية البترولية والتجارية في منطقة الجزيرة العربية.. وأن المواطن اليمني – في إطار هذه الاستراتيجية لم يحسب له أي حساب لا من الناحية الاقتصادية ولا النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية.

وعلى هذا الأساس تحولت مدينة عدن والمناطق المجاورة لها إلى ثكنات عسكرية متأهبة للقتال ومصدر من مصادر المؤامرات التي تستهدف إثارة الفتن بين المواطنين وإشعال فتيل المعارك القبلية التي لا تتوقف كوسيلة لإلهاء الناس عن دوافع الاحتلال وكخيار من خيارات السياسة البريطانية التي تعتمد على مبدأ فرق تسد لترسيخ الاحتلال وحماية قواتها من أية وثبة في المقاومة أو التصدع لهذا الاحتلال.

كانت القوات البريطانية قد أحكمت سيطرتها على عدن والمحميات الشرقية والغربية من خلال نشر القوات العسكرية في المناطق الحساسة والمتحكمة عسكرياً داخل هذه المحميات واستحدثت المطارات وعينت المستشارين السياسيين الذين يقودون العملاء الإداريين في عواصم هذه المحميات ويشرفون على تنظيم الإدارات التي تخدم تواجدهم وتواجد القوات ومنشآتها المختلفة.

على أن هذا التواجد العسكري المكثف قد أفضى إلى تضييق سبل ووسائل الحياة العادية بالنسبة للمواطن الذي وجد نفسه فاقد الحرية ومحدود الحركة في المدن والقرى والأراضي الزراعية المحيطة بها فقط دون الخروج عن هذه المنطقة المحدودة للنشاط والحياة، وهو الأمر الذي يحمل المواطن يصطدم يومياً بالأوامر العسكرية الحاسمة التي تمنعه من الانطلاق أو التحرك خارج هذه المساحة المحدودة لتحركات المواطنين.

هذه الوضعية عاشها المواطنون في الأرياف كما عاشها أبناء مدينة عدن بإجراءات أكثر تشدداً وتحت نظم وقوانين أشد تقييداً في الحركة وفي إجراءات العمل من أجل الحصول على لقمة العيش وتأمين وسائل الحياة والدفاع عن النفس.. بمعنى أوضح أن المواطنين اليمنيين كانوا يعيشون في سجن كبير محاط بقوات الاحتلال البرية والجوية والبحرية المدججة بأحدث أنواع الأسلحة المبتكرة والمتطورة.

المواطن اليمني الأعزل والفقير كان يحس بالإذلال والمهانة جراء هذا الاحتلال الغاصب.. وعندما يشتد عليه ظلم الاحتلال وعملائه ويطال هذا الظلم كرامته ونهب ممتلكاته كان يلجأ إلى التمرد ورفض الظلم بالهبات الشعبية والانتفاضات العسكرية التي تقاوم الاحتلال وتقض مضاجع العملاء المستبدين، ومع مرور الوقت والسنين كانت هذه الانتفاضات قد كبرت وتوسعت حتى شملت كل المناطق من أطراف مدينة عدن حتى أطراف المهرة شرقاً وإلى باب المندب غرباً وشهدت أراضي الأرياف من منطقة العقارب حتى أطراف الصبيحة الشمالية الغربية ثم الحواشب وردفان والضالع والشعيب ويافع الانتفاضات المسلحة التي حصلت في الأعوام القريبة من نهاية الأربعينيات والخمسينيات حتى يوم الاستقلال ومن أبرزها الانتفاضات التي قامت في المناطق التالية:

أولا:

انتفاضة الضالع عام١٩٥٦ م التي سقط فيها عشرات الشهداء ولم تكن هذه أول انتفاضة مسلحة في المنطقة بل هناك انتفاضات عديدة كانت قبل ذلك تتكرر في الضالع والشعيب نتيجة للمعاناة وظلم الحكام العملاء الذين سلطهم الاستعمار على رقاب المواطنين. مما أدى إلى أن يقوم المواطنون بعمليات انتحارية استهدفت الضباط الانجليز والعملاء المحليين ومن هذه العمليات العملية التي أقدم عليها الشهيد البطل محمد عواس في الثلاثين من يناير١٩٤٨ م بقتل الضابط السياسي البريطاني المتجبر مستر» ديفي» ومحاولة اغتيال الحاكم والضابط البريطاني مستر» سيجر» من قبل الشهيدين عبد الدايم وفاضل بن صالح الباقري في يناير عام١٩٥٤ م واغتيال الضابط السياسي البريطاني « مستر موند» عام١٩٥٦ م من قبل الحارسين أحمد علي مقديشو وقاسم قريش، هذا الضابط الذي فرض الضرائب على الفقراء من المزارعين وشدد من قبضته الحديدية في الحكم على المواطنين بالموت والاغتيال والسجن المؤبد في السجون المظلمة والموحشة.

ثانيا:

انتفاضة لحج الذي قام بها مجموعة من أبناء لحج جمعوا أكثر من أربعين ألف توقيع للمزارعين بغرض تكوين جمعية تعاونية تجمع كلمة المزارعين في لحج، إلا أن السلطة رفضت هذا التجمع وأقدمت على مواجهة المحتشدين واعتقال مجموعة كبيرة من المزارعين الذين تعرضوا لصنوف التعذيب..

وقد تجمع أبناء المنطقة من المزارعين وغيرهم واستولوا على المحاصيل مما أدى إلى استشهاد البعض منهم. وزج بالبعض الآخر في غياهب السجون ليمارس ضدهم التعذيب الجسدي والنفسي وإبعادهم عن أهاليهم وذويهم إلى أماكن بعيدة وسجون كئيبة يتعاون فيها الانجليز مع السجانين العملاء في ممارسة التعذيب الوحشي، وقد ترك المعتقلون لأيام بدون ماء، أو طعام ولا إضاءة داخل الزنازن يفترشون الأتربة والأحجار في نومهم حتى أتى الموت على بعضهم داخل هذه السجون وعاد البعض الآخر إلى مناطقهم بعد معاناة السجون وعذابها الشديد الأليم.

ثالثا:

كما قامت انتفاضة في صبيحة لحج بزعامة محمد شاهر المنصوري وعلي محمد سعد وعبداللطيف الشعبي حيث تعرضت هذه الانتفاضة للمواجهة الشرسة من قبل القوات العسكرية والقصف الجوي البريطاني للمنطقة كلها وشاركت في الحملة القوات البريطانية مع القوات المحلية للسلطنة اللحجية حينها وأدت هذه الحملة إلى نسف المنازل وتشريد المواطنين من أبناء المنطقة حيث شمل القصف الجوي عدة قرى ومنازل آمنه قصفتها الطائرات على من فيها من المواطنين والمواشي والممتلكات، ومن نتيجة هذه الانتفاضة إقدام الشهيد محمد صالح الغريبي بعد خروجه من السجن على محاولة اغتيال السلطان في مجلسه ولم يصبه وأصاب ولي عهده فضل عبدالكريم الذي فقد عينه وإلى الأبد.. واستشهد بعدها محمد الغريبي مباشرة عندما تناولته خناجر الحاضرين في المجلس من العملاء، وقتلوا في الوقت نفسه خال القتيل محمد عبدالله خميس دون أن يكون مشاركاً نسيبه ولا يعرف شيئاً عن عملية الاغتيال بل ذهب انتقام السلطة إلى اعتقال جميع أفراد أسرة القتيل والزج بهم في السجون والاستيلاء على كل ممتلكاتهم من الأراضي والأموال والماشية وغيرها من الممتلكات التي أحالت من تبقى من الأسرة إلى حالة من الفقر المدقع والتشريد المريع.

وفي الأربعينيات من القرن الماضي خاضت قبائل الصبيحة معارك ضارية ضد القوات البريطانية في المنطقة بقيادة الميجر» هملتين» والعبد المنتصر» قائد قوات سلطنة لحج.. وكانت القوات البريطانية وعملاؤها قد استهدفت منطقة « المناصرة» حيث استمرت المعارك لمدة شهرين كاملين استشهد فيها العديد من أبناء المناصرة الصبيحة، وقد تعرضت بعض المواقع في هذه المنطقة إلى القصف الجوي من قبل الطيران البريطاني كقصف قرى جبل» القوحي» وقرية جبل « علصان» وقرية جبل» المشاريخ» وقرية جبل « النوبة» وقرية جبل « تقار» وقرية جبل « النعية» وأدى القصف الجوي إلى إتلاف المحاصيل الزراعية وقتل الماشية، من الأبقار والجمال، والأغنام بصورة أشبه بالإبادة لقطعان الماشية التي كانت منتشرة في المراعي والوديان.

كما قامت معركة أخرى بين القوات البريطانية وعملائها من حكام السلطنة اللحجية من ناحية وبعض المواطنين من أبناء الصبيحة في نقيل القيض منطقة كرش بقيادة المناضل مليط ثم معارك أخرى في وادي عقان والجبال المحيطة بالوادي استخدمت القوات البريطانية في هذه المعارك سلاح الطيران لتدمير وإحراق الحقول وقتل المواشي وقد قتل في هذه المعارك عدد كبير من المواطنين وعلى رأسهم المقاتل صالح مليط والمقاتل سعيد مليط والمقاتل بادي مليط والمقاتل الدوش ديبانو واعتقل في هذه المعارك مجموعة من المواطنين بما فيهم عوجري مليط وإخوانه وزج بهم في السجون لمدة ثمانية أعوام ... كما أعتقل في الوقت ذاته مليط علي سالم الذي عذب في السجن وعانى من الأمراض حتى وافته المنية داخل السجن الاستعماري الرهيب.

كانت المعارك البطولية ضد الاستعمار بقيادة المناضل صالح مليط قد قامت بسبب المظالم التي كانت تمارسها السلطات المحلية العميلة، بسبب فرض الضرائب الجائرة على محاصيل المزارعين وما يرافق ذلك من ممارسات وأعمال العنف والإذلال ضد أبناء الصبيحة، وأدت أعمال المقاومة إلى هزائم متكررة للقوات البريطانية والسلطات اللحجية العميلة، وقد ظل المواطنون بعد استشهاد صالح مليط يرددون الأغاني التي تمجد الأعمال البطولية التي قام بها صالح مليط ضد الاستعمار وأعوانة، ومنها الكلمات التي تقول:

صالح مليط الجيد بالحرب يشعل وقيد
ليلتك وياصالح تبعث ثلاث أيام
ترد عقان بالحرب كما قد كان
بعدك وياصالح الذل والتهديد
صالح وياصالح الناس بعدك عبيد

رابعا: المنطقة التي ظلت عصية على الاستعمار

المناضل محمد صالح المصلي من أبناء منطقة يافع يصف وحشية القوات البريطانية في هذه المنطقة التي ظلت خلال فترة الاستعمار البريطاني للجنوب خارج سلطة هذا الاستعمار الغاشم إذ أن المقاومة اشتدت ضد الوجود الاستعماري منذ المراحل الأولى للتواجد البريطاني على أرض الجنوب اليمني وشارك أبناء يافع بكل فئاتهم بمقاومة الاستعمار وكل محاولاته للتوغل أو فرض أي وجود له داخل منطقة يافع بجبالها العليا، أو سهولها السفلى.

في المنطقة الجبلية ليافع التي كانت تنتشر فيها القرى مع الكثافة السكانية للمواطنين كان الاستعمار البريطاني يلجأ إلى أساليب الحيل والمكر وخداع الناس بإظهار النعومة في التعامل مع الناس وذلك باتباع أسلوب الإغراء بالمال، والمناصب وتوزيع البنادق والذخيرة لأفراد المواطنين، ولما لم تنجح هذه أساليب بقدوم الضابط البريطاني «مونتجمري» إلى يافع العليا تحت حماية الطائرات البريطانية التي حلقت فوق سماء المنطقة .. لما فشلت أساليب المكر.. أقدمت القوات البريطانية على استخدام الطائرات بقصف القرى وتهديم المساكن على رؤوس المواطنين ودمرت قرى الجهوري في وادي « ضيك» بالكامل.

وكان القصف يتواصل لعدة أيام بل لأسابيع ولا يكتفي بتدمير المنازل وإحراق الممتلكات بداخلها بل كان يتعقب المواطنين إلى داخل جروف الجبال والأحراش، ومطاردة المواشي وقتلها وحرق المحاصيل الزراعية بل ووصل الحقد بهذه القوات الغازية إلى منع المواطن من أبناء منطقة الموسطة من دخول مدينة عدن لغرض البحث عن عمل والتكسب من جهودهم بأي صورة من الصور، زيادة على منع أي تموين يصل إلى منطقة يافع.

ولولا احتفاظ المواطنين ببعض الحبوب وقدرتهم على التسلل إلى مناطق الحدود مع شمال الوطن سابقاً لكانت القوات الاستعمارية قد حكمت على أبناء المنطقة بالإبادة الكاملة تحت طائلة الحصار والتدمير، والتجويع المستمر، كما حصل أثناء المعارك التي نشبت مع قوات المعتمد البريطاني في عدن الذي وصل إلى يافع والثوار في منطقة «سلب» ومنطقة» القارة» التي دكتها الطائرات البريطانية بكل عنف وشراسة ثم معركة حلين في عام١٩٦٠ م التي دارت رحاها بين المواطنين والقوات البريطانية تحت وابل من القصف المكثف للطيران الانجليزي استمرت هذه المعارك تتواصل حول حصن» حلين» وحصن» الخرابة» وأسفرت عن قتل المئات من المواطنين وتدمير آلاف المنازل وحرق المزارع وإبادة الماشية وتدمير أي منزل يأوي الثوار أو يتعاون معهم.

المعارك بين المقاومين الوطنيين وقوات الاستعمار البريطاني استمرت منذ أن حاولت قوات الاحتلال التوغل إلى داخل المنطقة ولم تتوقف حتى عشية الاستقلال..وظل المواطن اليمني في هذه المنطقة من مناطق الجنوب» يافع» يعيش تحت الإرهاب البريطاني قصف جوي مستمر وحشد بري متواصل واعتقالات لا تتوقف، وتدمير القرى والمنازل بدون وازع من ضمير أو حرمة للعرض والممتلكات وحصار وتجويع ليس له حدود ولا أي رادع إنساني وقتل وإبادة شمل الإنسان، والحيوان ووسائل النقل البدائية من الحمير والجمال وحتى الأبقار والأغنام التي يتغذى منها الأطفال، ويستعان بها في حراثة الأرض وتوفير الغذاء لم تسلم من الإبادة كل هذه الأعمال الوحشية كانت من نصيب المواطن جراء الوجود الاستعماري وحكمه الغاشم على أرض الجنوب، طوال سنوات الاحتلال المدمر.

خامساً المقاومة التي مزجت بين المرونة والشدة

يؤكد الحاكم البريطاني لحضرموت» أنجرامز» السيطرة الفعلية للاستعمار البريطاني على المحمية البريطانية حضرموت لم تتم قبل١٩٧٢ م ويحدد أن في ذلك العام بدأت السلطات البريطانية بتوسع إدارتها الاستعمارية المباشرة على أرياف المحمية الشرقية حضرموت والمهرة.

لا نريد هنا أن نؤكد الحقبة التاريخية التي تأكدت فيها السيطرة البريطانية على ما كان يسمى بالمحميات الشرقية، ولكن ما يهمنا هو تبيان طبيعة الحكم الاستعماري والعقلية التي حكمت المنطقة والتي من خلالها يتحدد إدراكنا لأهمية ومدى تأثير السياسة الاستعمارية على إبقاء المنطقة مجزأة الكيانات، كنوع من الحماية الاستعمارية وإبقاء السيطرة من منظور السياسة القائمة على إعاقة أشكال التنمية وعزل المنطقة بكاملها عن عملية التطور الحضاري الذي كانت تشهده المنطقة العربية المجاورة.

على أن الحاكم البريطاني الذي حدد مقر إقامته في مدينة المكلا.. لم يشأ أن يثبت سلطته الاستعمارية في محمية .. عدن الشرقية بواسطة النظام السياسي الذي يعتمد على ديمقراطية انجلترا المطبقة في لندن أو حتى على «مصطلح انجرامز نفسه» تقطير بعض معالم الديمقراطية في الجنوب مع ما يستتبع ذلك من توحيد الكيانات القبلية المتناثرة.. بل لجأ إلى تعزيز الوجود الاستعماري من خلال استخدام القوة وتعميق واقع التجربة وتقطيع شرايين الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في البلد.